اسرائيليـــات

« الجبهة الحمراء »

● الاسرائيليـون ، اليوم ، في حالـة ذهـول ودهشة . لقد اكتشفوا ان الايديولوجية الصهيونية قابلة للخيانة . ولعل مجرد حالة الذهول التـي تنتابهم من اكتشاف اربعة شباب يهود في تنظيـم سري عربي ــ يهودي كمـا يقولون هو تعبير عن هـوة الغرور القومي التي وصلوا اليها . لقـد وضعوا انفسهم في موقع المعجزة والايمان بحصانة هذا الموقع وصلابته ، فآلمهم ان يجدوا شذوذا من قاعدة الاجماع والرأي الواحد .

« أخطر شبكة تجسس وتخريب » ، هكذا تصـف الشرطـة الاسرائيليـة واجهزة الاعلام « الجبهة الحمراء » اليسارية . « لم يحدث هذا في تـاريخ اسرائيل » . ولقد اشار وزير الشرطة الاسرائيلية الى ثلاثة عوامل اساسيـة في قضية مـا يسميه الاعلام الاسرائيلي « شبكة التجسس » . العامل الاول ــ هو اشتراك يهود من اسرائيل في «الشبكة التي تعمل لصالـح احـدى الدول العربية » . والعامل الثاني ــ هو مدى الضرر الذي ألحقتـه أعضاء الشبكة حتى الان ــ (أحد اعضائها اليهود عمل في المفاعل الذري ، واخـر خدم في سـلاح المظليين) . والعامل الثالث هو أن عربا من سكان اسرائيل هم الذين نظموا الشبكة .

وان اكثـر مـا يشغـل المسؤولـين والمعلقـين الاسرائيليين ، في القضية كلها ، هو البحث عن دوافع اشتراك الشباب اليهود في تنظيم سري معاد لاسرائيل على اساس ايديولوجي ، وكيفية تطور مفهوم المعارضة الفكرية الداخليـة الى ممارسة عملية تنتهك « حرمة » قاعدة العمـل السياسي المتبعة في اسرائيـل . هذه القاعـدة التي تربط المعارضة وتلزمها بالاعتراف بالمبادىء الصهيونية التي قامت عليها اسرائيل ، وبمعنى اخـر ــ ان شرعية العمل السياسي داخل اسرائيل تدور في اطار «الاعتراض ضمن الاعتراف» او ان الاعتراف بشرعية اسرائيل شرط لشرعية العمل السياسي . ولقد وقع المعارضون دائما في التناقض الصعب بين شرعية الاعتراض على اشكال الممارسة الصهيونية في فلسطين وبين دفاعهم عن جوهر اسرائيل الذي هو اعلى اشكال تطبيق الايديولوجية الصهيونية . وكان نوع اخر من المعارضة يبني قاعدته السياسية على أساس رث : الاعتـراض على ممارسـات صهيونية دفاعا عن « طهارة » الفكرة الصهيونية .

وان ما حدث فيما يطلقون عليه اسم « الجبهـة الحمـراء » هـو أن رفـض الصهيونية كفكـرة وايديولوجيا يستتبع رفض التطبيق المادي لها وهو اسرائيل . ولقد وصل هـذا المنطق الى التمرد على الشرعية لان الشرعية دفن لهذا المنطق ذاته وعودة الى « الاعتراض ضمن الاعتراف » .

هذا هو الجديد في المسألة كلها من الناحية الفكرية. ولقد كتبت صحيفة دافار : « ان الانتقـال مـن ممارسة الدعاية الراديكالية والصراع السياسي للقضاء على نظام الحكم القائم في اسرائيل الـى عمليات تخريب وتجسس ينطوي على مغزى خطير». وحاولت صحيفة « هآرتس » ان تحلل هذه الظاهرة فكتب زئيف شيف : « ان الارضية التي نمت عليها الشبكة هي رفض حق اسرائيل في الوجود وليست « الموضة » التي ظهرت مـع حـرب فيتنام » . وتساءل الكاتب : « لماذا لـم تكتشف شبكـات تجسس مخططة وناتجة عن دوافع ايديولوجية خلال الخمسينات والستينات ؟ ان الذين يجدون الجواب عن ذلك في الموضة التي انتشرت بين الشبيبة التي تنتمي الى شعوب متورطـة في الحروب يتمسكون بالحل السهل . هنالك من يدعي بأنه بعد حرب ٦٧ اضيفت الينا مناطق محتلة وسكان محتلون ، ولذا ازداد الاحساس بالظلم . وقبل ٦٧ ألم تكن في أيدينا مناطق احتللناها من العرب ؟ ألم تكن قبل ذلك معسكرات لاجئين واعمال ظلم ؟ ».